﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٨٩﴾ [الإسراء: 89]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لَمّا تحدّى البلغاءَ بالإعجازِ؛ أردفه بوجه من وجوه إعجازه، في تصريف الأمثال فيه

لَمّا كانَ التَّحدّي واقعًا على بلغاءِ العربِ المشركينَ بالإعجازِ في الآيةِ السّابقةِ؛ تطاولَ عليهم هنا بإيرادِ جزءٍ منْ فضائلِ القرآنِ على ما سواهُ منْ سائرِ الكلامِ، ناعيًا عليهم ما حرموا أنفسهُم من الإفادةِ من القرآنِ، فذكرَ ضربًا منْ ضروبِ إعجازِهِ، وهو اشتمالهُ على الأمثالِ[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صَرَّفْنَا﴾: (صرف) أَصْلٌ يَدُلّ على اشتقاق الشَّيءِ من الآخرِ، وتصاريف الأمورِ؛ أيْ: إنَّها تتقلَّبُ بالنّاسِ، وذكرَ في القرآنِ تصريفَ الرّياحِ، أيْ: تقليبَها منْ وجهٍ إلى آخرَ، ومنهُ التَّقلُّبُ والتَّحايلُ في الأمورِ، كالرَّجلِ يتصرَّفُ، ويكتسبُ قوتَ عيالِهِ، وتصريفُ الآياتِ تبيينُها، والصّادُ والرّاءُ والفاءُ أصلٌ يدلُّ على رجعِ الشَّيءِ، وتصريفُ الكلامِ تزيينهُ لجلبِ الاستماعِ إليهِ، والصَّرفُ ردُّ الأمرِ منْ شيءٍ إلى آخرَ أوْ تبديلهُ، وتصريفُ الكلامِ تفضيلُ بعضِهِ على بعضٍ؛ لأنَّ التَّفضيلَ صرفٌ عنْ أشكالِهِ ونظائرِهِ[2].

2) ﴿مَثَلٍ﴾: (مثل) أصل يدلّ على مناظرة الشَّيءِ[3]، وجمعُ (مَثَل): أمثال، ومعنى المَثَلِ "شِبْهُ الشَّيءِ في المِثال والقَدْر ونحوِه حتّى في المعنى، ويقال: ما لهذا مَثيلٌ، والمِثالُ ما جُعِلَ مقدارًا لغيره،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 204.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والزّبيديّ، تاج العروس: (صرف).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والعسكريّ، الوجوه والنّظائر: (مثل).

وجمعُه مُثُل"[1]، وضربُ المَثَلِ جعْلُهُ يسيرُ في البلادِ من قولكِ: ضربَ في الأرضِ؛ إذا سارَ فيها والمثلُ يأتي بمعنى الحديثِ والخبرِ، ومعنى المثَلِ في الآيةِ: الكلامُ المشتملُ على الموعظةِ والحجَّةِ[2].

3) ﴿فَأَبَىٰٓ﴾: (أبى) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على الامتناعِ، فالإباءُ: عرضكَ الشَّيءَ على الرَّجلِ، فيرفضُ قبولهُ، وذُكِرَ في معناهُ المحوريّ الامتناعُ إحساسًا بالاستغناءِ وانعدامِ الحاجةِ، وهو الامتناعُ الشَّديدُ المقترنُ بالكراهةِ[3]، يقالُ: أبى فلانٌ؛ إذا عصى، وتركَ الطّاعةَ، ومصدرهُ الإباءُ، وإباءُ الشَّيءِ بمعنى كُرْهِهِ، ومعنى إبائهم في الآيةِ: ثباتهُم على الكفرِ، وامتناعهُم عن الشُّكرِ، وعدمُ قبولهِ، واستبدالُهمُ الكفرَ بذلك[4].

4) ﴿كُفُورًا﴾: (كفر) أصل يدلّ على التَّغطيةِ والسَّترِ، فلَّما كانَ منْ شأنِ الكافرِ تغطيةُ عقلِه وقلبِه بعدم قبولِه الإيمانَ؛ سمّي كذلكَ، والكافرُ مَن يُغطّي نعمَ اللّهِ وتوحيدَهُ فيُناقضُ الإيمانَ، ويناقِضُ الشُّكرَ إذا اقترنَ بالنِّعمةِ، ويجوزُ أنْ يأتيَ ضدَّ الإسلامِ، وأعظمُ الكفرِ: جحودُ الوحدانيَّةِ أو الشَّريعةِ أو النُّبوَّةِ، والكفرانُ في جحودِ النِّعمةِ أكثرُ استعمالًا، والكفرُ في الدّينِ أكثرُ، والكُفورُ فيهما جميعًا، وإذا كانت التَّغطيةُ كثيفةً تامَّةً لا يظهرُ معها شيءٌ من المغطّى؛ سُمّيتْ كفرًا، وسُمّي الكافر؛ لأنَّهُ قدْ غطّى قلبَهُ تغطيةً كثيفةً على الرَّغمِ من الشَّواهدِ الواضحاتِ البيّناتِ على وجودِ اللّهِ وعظمتهِ[5]، ومعنى الكَفورِ في الآيةِ: الجَحودُ[6].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

كانَ منْ عادةِ القرآنِ الحكيمِ ونهجِهِ معَ منْ أُنزلَ إليهم مِنْ بني آدمَ أنَّ الحقَّ سبحانه قدْ صرَّفَ، وبيَّنَ، وضربَ فيهِ من الأمثالِ الدّالةِ على الموعظةِ والاعتبارِ، مثلًا إثرَ آخرَ؛

(1) الخليل، العين: (مثل).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 15/ 299.
(3) الخليل، العين، والجوهريّ، الصّحاح، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أبى).
(4) السّمرقنديّ، بحر العلوم: 2/ 328.
(5) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن الأنباريّ، الزّاهر في معاني كلمات النّاس، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (كفر).
(6) الثّعلبيّ، الكشف والبيان: 19/ 441.

نـهـجُ الـقـرآن ضَـرْبُ الأمـثـالِ الـحـقّـة، ولـكـنَّ أكـثـر الـنّـاس يجحدون

رحمةً منهُ وفضلًا "ما لو تفكَّروا فيهِ، وتأمَّلوا؛ لعرفوا صدقَ رسولِ اللّهِ ﷺ وكذبَ أنفسِهم وسفهَهُم"[1]، لكنَّهم أعرضوا، ولم يتفكَّروا، وعاندوا جحودًا ونكرانًا.

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

### دلالةُ العطفِ بالواوِ في السّياق:

اشـتـراك الجمل في الحكم تجلية لمعاني الامتنانِ والتّعجيزِ

الآيةُ معطوفةٌ على جملةِ ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ وصلًا؛ لمشاركتِها إيّاها في الحكمِ المتقدِّمِ بيانهُ من بابِ الزّيادةِ والفضلِ في الامتنانِ والتَّعجيزِ[2].

### دلالةُ الفعل ﴿صَرَّفْنَا﴾ في السّياق:

فـضـلُ الـقـرآن سابغٌ، ومنكرُه جاحدٌ خاسرٌ

التَّصريفُ في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ﴾، تنبيهٌ "على فضلِ اللّهِ في القرآنِ على العالمِ، وتوبيخٌ للكفّارِ منهم على قبيحِ فعلِهم"[3]؛ بأن امتنَّ عليهِم بتصريفِ القرآنِ، معَ كثرةِ ما ردَّدَ من الأمثلةِ، وأسبغَ عليهم منَ النِّعمِ، فما كانَ منهم إلّا الجحودُ وكفرانُ نعمهِ[4].

### دلالة اللّامِ، في قوله: ﴿وَلَقَدْ﴾:

تـأكـيـد الـقـولِ لدفعِ التّكذيب، والدّعوة للإيمان

اللّام موطِّئةٌ للقسم دالَّةٌ على التَّوكيدِ في ﴿وَلَقَدْ﴾؛ فهي لتوكيدِ القولِ[5]؛ لعلَّهم يؤمنونَ.

### بلاغةُ التَّوكيدِ باللّامِ، و(قد) التَّحقيقيَّةِ:

فعل التّصريف بـقـدر الـلـه الـشّـريـف، ردٌّ لأفكارِ المشركينَ المنكرينَ

جاء قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ﴾ بمؤكِّدين؛ هما لامُ القسمِ وحرفُ التَّحقيقِ[6]، وغرضُ التَّوكيدِ هنا ردٌّ لأفكارِ المشركينَ

(1) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنة: 7/ 110.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 204.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 484.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 111.
(5) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4450.
(6) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثري: 15/ 89.

المنكرينَ أنَّه من عندِ اللّهِ، وآيةُ ذلكَ الفعلُ ﴿صَرَّفْنَا﴾ الدّالُّ على أنَّ هذا القرآنَ من الجليلِ سبحانهُ[1].

**بلاغة الكناية، في جملة ﴿صَرَّفْنَا﴾:**

التَّصريفُ هنا كنايةٌ عن التَّبيينِ والتَّوضيحِ بمختلفِ أنواعِ البيانِ؛ بأن يأتيَ مرَّةً بمشاهداتٍ من السَّمواتِ والأرضِ، ومرَّةً بما في النُّفوسِ، ومرَّةً بأحوالِ الأممِ الَّتي خلتْ، في أساليبَ متفاوتةٍ كي تحيطَ بالأفهامِ على تفاوتِ مداركِ العقولِ[2].

التَّبيينُ بمختلفِ ضروبِ البيانِ؛ لتكونَ المعاني في متناولِ الأفهامِ

**دلالة إسناد الفعلِ ﴿صَرَّفْنَا﴾ ماضيًا إلى الضّمير:**

عبَّرَ بالفعلِ ﴿صَرَّفْنَا﴾ بصيغةِ الماضي؛ لدلالتهِ على الحكمِ الثّابتِ القائمِ على المشاهدةِ والتَّجربةِ الكثيرةِ المتكرِّرةِ؛ فإنَّ التَّصريفَ واقعٌ متحقِّقٌ؛ فلا يبقى شكٌّ في ذلكَ، وإسناده إلى ضمير الغائب العائدِ عليهِ سبحانه لغرضِ التَّعظيمِ[3]، وإدخالِ المهابةِ في نفوسِ المخاطَبينَ.

كلّ ما نسب إلى الله من تصريف، دالٌّ على عظمته بيقين

**دلالة (اللّامِ) في شبه الجملة ﴿لِلنَّاسِ﴾:**

اللّام في قولهِ تعالى: ﴿صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ﴾ دالَّةٌ على التَّعليلِ والسَّببيةِ[4]؛ فإنَّ تصريفَ الأمثالِ في القرآنِ إنَّما هو لأجلِ النّاسِ، فقد وجَّهَ الحقُّ سبحانه القولَ لهم، وفيهِ من الأمثالِ الرّائعةِ في الحِكَمِ الإلهيَّةِ والتَّرغيبِ والتَّرهيبِ والأمرِ والنَّهي وما شابهَ الكثيرُ[5].

بيان مناسبة السّياق؛ لاختلاف المخاطَبين، وتنوُّع طبائعهم

**الغرض من تقديم شبه الجملة ﴿لِلنَّاسِ﴾ :**

في قولهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ رتَّبَ متعلِّقاتِ فعلِ التَّصريفِ بادئًا بالنّاسِ، ثمَّ أتْبعَهُ بالقرآنِ، والسِّرُّ في

ذكرُ النّاسِ أهمُّ هنا؛ لأنَّ الكلامَ مسوقٌ لتحدّيهم والحُجَّةِ عليهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 204.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 109، و: 7/ 235 - 236.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 510.
(4) ابن هشام، مغني اللّبيب، ص: 275.
(5) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 5/ 801.

هذا التَّرتيبِ متعلِّقٌ بالمقامِ، صحيحٌ أنَّ ذِكْرَ القرآنِ أهمُّ أصالةً، إلّا أنَّ الاعتباراتِ الطّارئةَ قد تُقَدَّمُ، ومن هذا البابِ فإنَّ ذِكْرَ النّاسِ هنا أهمُّ وأنسبُ؛ لأنَّ الكلامَ قد سيقَ لأجلِ التَّحدّي، وإقامةِ الحُجَّةِ عليهم[1]، وعادةُ العربِ في تقديمِ الألفاظِ أنَّهم يقدِّمونَ ما عنايتهُم بهِ أهمُّ، وحرصهُم عليهِ أتمُّ، ولا يكفي ذلك ما لم يبيّنوا سببَ هذهِ العنايةِ، وغرضَ ذلكَ الاهتمامِ[2]؛ فقدَّم لفظَ ﴿لِلنَّاسِ﴾؛ لينبِّهَهُم على أنْ يهتمّوا بفهمِ القرآنِ، ويعتنوا بتدبُّرِهِ، ويكونوا وقّافينَ عندَ أوامرِهِ، منتهينَ عنْ زواجرِهِ[3].

### الغرضُ من التَّعبيرِ باسمِ الإشارةِ:

عبَّرَ باسمِ الإشارةِ في قولِهِ تعالى: ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾؛ للإيذانِ بأنَّ الكتابَ المعنيَّ هو القرآنُ الحاضرُ المحسوسُ الَّذي صُرِّفتْ فيهِ الأمثالُ، وهو القرآنُ العربيُّ[4] المقروءُ المعهودُ الَّذي يعرفهُ النّاسُ بهذا الاسمِ.

بيان أنّ الأمثال، صُرّفت في القرآن الكريمِ آخرِ الكتب نزولًا

### دلالة إظهار لفظ ﴿ٱلْقُرْءَانِ﴾ دون التّعبير عنه بالإضمار:

في إظهارِ القرآنِ بدلِ الإضمارِ مع لِحاظِ قربِ التَّصريحِ بهِ بلفظِهِ في الآيةِ السّابقةِ؛ تعظيمُ شأنِه، وإعلاءِ مكانتِه بوصفِه المشتملِ على عظيمِ الآياتِ مناطِ الوصفِ بالتَّصريفِ من كلِّ مثلٍ.

القرآن محلُّ تعظيم وتشريف، وذكره تنويه بسموّه وعظمته

### توجيهُ المتشابهِ اللَّفظيِّ في آيتي الإسراء (89) و(41) وآية الكهف (54):

في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الإسراء: 41]، وقولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: 89]، وقولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ

ذكر النّاس في مقامِ التَّحدّي والإعجازِ، يقابله عدم ذكرهم في مقام اللَّومِ والتَّوبيخِ

(1) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 15/ 204 - 205.
(2) الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص: 78.
(3) الإسكافيّ، درّة التّنزيل: 1/ 860 - 861.
(4) ابن قدامة، المناظرة في القرآن، ص: 27.

﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: 54]، وُجوهُ تشابُهٍ وافتراق؛ إذ اختصرَ في الآيةِ الأولى، وبسطَ في الأخريين، وقدَّمَ الجارَّ والمجرورَ ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الآيةِ الثّانيةِ، وأخَّرَ ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾، وعكسَ في الآيةِ الثّالثةِ، فيُسألُ عن ذلكَ؟ والجوابُ عنْ ذلكَ: أنَّ الخطابَ في الآيةِ الأولى كانَ معنيًّا بكفّارِ العربِ، فلم يذكر كلمةَ (النّاسِ) الدّالّةَ على العمومِ لخصوصيَّةِ الخطابِ هنا، أمّا الآيةُ الثّانيةُ؛ فالخطابُ فيها للإنسِ والجنِّ، وخَصَّ النّاسَ بالذِّكرِ اعتناءً بهم، وهم الجنسُ الإنسانيُّ، أمّا تقديمُ النّاسِ؛ فلدرءِ الثِّقلِ فيما لوْ قيلَ: (ولقدْ صرَّفنا في هذا القرآنِ منْ كلِّ مثلٍ للنّاسِ، فأبى أكثرُ النّاسِ إلّا كفورًا)، فإنَّ لفظَ النّاسِ عندئذٍ يبدو كأنَّهُ أعيدَ على وجهِ الاتِّصالِ؛ فيكونُ مستثقلًا، فقدَّمهُ؛ ليستحكمَ الفصلُ، فلا يستثقلَ، وليسَ ذلكَ حاصلًا معَ آيةِ الكهفِ، فلم يتكرَّر لفظُ النّاسِ؛ فلا حصولَ للاستثقالِ، فأخَّرهُ، وقدَّمَ القرآنَ؛ لما فيهِ مِنَ التَّنبيهِ على شرفهِ ورفعتهِ[1].

وفي الآيةِ الأولى عبَّرَ بـ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ [الإسراء: 41]؛ لأنَّهُ وردَ بعد آياتٍ في الوصايا والعظاتِ والتَّسويفِ، فقالَ: ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ [الإسراء: 41] للعملِ بها، أمّا الآيةُ الثّانيةُ؛ فجاءتْ في أقوامٍ مخصوصينَ منها تحدّي اجتماعِ الإنسِ والجنِّ لمعارضةِ القرآنِ؛ فناسبَ ذكرُ النّاسِ وتقديمُهُم، وقيامُ الدَّليلِ على عجزِهم عن الإتيانِ بمثلهِ، أمّا آيةُ الكهفِ؛ فواردةٌ بعدَ ذكرِ إبليسَ وعداوتهِ، والتَّشنيعِ على مَنْ يتَّخذهُ وذرِّيَّتَهُ أولياءَ؛ فناسبَ تقديمُ القرآنِ الدّالِّ على عداوتهِ وتبعيدهِ[2].

وفي تقديمِ ﴿لِلنَّاسِ﴾ على ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ في الآيةِ الثّانيةِ، وتأخيرهِ في آيةِ الكهفِ؛ لما تقدَّمَ في الإسراءِ من الكلامِ على الإنسانِ ونعمِ اللّهِ عليهِ ورحمتهِ، بقولهِ: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء: 83]، فالسّياقُ في الإنسانِ هنا ممّا يناسبهُ تقديمُ النّاسِ، وليسَ شيءٌ منْ ذلكَ في آيةِ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الكهف: 54]، ثمّ إنَّ مبتدأَ الكهفِ كانَ في الكتابِ الكريمِ[3] بقولهِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف: 1]؛ فناسبَ تقديمهُ جريًا على سياقِ ما بدأ به السّورةَ.

(1) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 2/ 311 - 312.
(2) ابن جماعة، كشف المعاني في المتشابه من المثاني: 232 - 233.
(3) فاضل السّامرائي، أسرار البيان في التّعبير القرآنيّ، ص: 501.

وفي الآيتين الثّانية والثّالثة ذكرَ متعلَّقَ فعلِ التَّصريفِ ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾، فيما لم يذكرهُ في الآية الأولى [الإسراء: 41]؛ لأنَّ ذِكرهُ فيهما أدخلُ في الإعجازِ؛ لما تحقِّقهُ كثرةُ أغراضِ الكلامِ من شدَّةِ التَّعجيزِ لمن رامَ معارضتهُ؛ فإنَّ البليغَ قد يقدرُ على غرضٍ، ويعييهِ غرضٌ آخرُ؛ فيكونُ عجزهُم عن معارضةِ القرآنِ معَ كثرةِ الأغراضِ عجزًا من جهةٍ أخرى بعجزِهم عن أن يأتوا بمثلهِ، ولو في بعضِ أغراضهِ[1].

### معنى حرف الجرِّ، في قوله: ﴿مِن كُلِّ﴾:

بيان جنس المثل المضروب، زيادة في المنّة وتأكيد لها

يجوزُ أن تكونَ ﴿مِن﴾ في قولهِ تعالى: ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ لابتداءِ الغايةِ؛ فيضمرُ مفعولُ ﴿صَرَّفْنَا﴾، أيْ: صرَّفنا التَّنبيهَ والعِبرَ منْ كلِّ مثلٍ، ويجوزُ أنْ تكونَ زائدةً للتَّوكيدِ، على تقديرِ: صرَّفنا كلَّ مثلٍ[2]، ويجوز أن تكون بيانيَّةً؛ والمعنى: فإنَّنا صرَّفنا، وحوَّلنا لهم من ضروبِ القولِ من كلِّ مثلٍ، أي: إنَّنا ذكرناها في كلِّ حالٍ لتشابهِها معَ الوجودِ الإنسانيِّ[3].

### دلالة التَّعبيرِ بلفظةِ ﴿كُلِّ﴾:

التنويع يلائم المخاطَب، وفيه تعزيز للنِّعم من الله

التَّعبيرُ بقولهِ تعالى: ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ يفيدُ العمومَ المؤسَّسَ على لفظةِ ﴿كُلِّ﴾، وهي من صيغِ العموم[4]، والمرادُ هنا الإشارةُ إلى أنَّ الكتابَ الكريمَ يشتملُ على أبعاضٍ من ضروبِ المثلِ جميعًا[5].

### السرّ في تنكيرِ لفظةِ ﴿مَثَلٍ﴾ وتنوينها:

التعظيم والتشريف في المقصود مِنَ التَّمثيلِ

وردَ لفظُ ﴿مَثَلٍ﴾ منكَّرًا منوَّنًا؛ لإرادةِ التَّعظيمِ والتَّشريفِ، والمعنى: صرَّفنا من كلِّ ما شرُفَ من الأمثالِ، والمرادُ من شرفهِ مقصودهُ من التَّمثيلِ بهِ، وضربهِ للنّاسِ[6]، ويجوزُ في معنى المثلِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 205.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 484.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4451.
(4) ابن فرحون، العدّة في إعراب العمدة: 2/ 274.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 205.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 205.

في قولهِ تعالى: ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أن يرادَ بهِ الحالُ، أيْ: منْ كلِّ حالٍ حسنةٍ ممّا يحملُ من المعاني الجديرةِ بالتَّمثيلِ والتَّشبيهِ بما يزادُ بيانهُ في نوعهِ[1].

**بلاغة الاستعارة التّصريحيّة في لفظة ﴿مَثَلٍ﴾:**

قولهُ في الآيةِ: ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ استعارةٌ تصريحيَّةٌ؛ فليسَ القصدُ من المثلِ ما تعورفَ عليهِ في جانبهِ الاصطلاحيِّ، إنَّما أرادَ الحالةَ الَّتي تشبهُ المثلَ في غرابتهِ وندرتهِ[2]، وسيرهِ في الأقطارِ وما يجبُ أن يعتبرَ به.

لا يرادُ بالمثلِ معناهُ المتعارفَ بل ما هو مشابهٌ لهُ في الغرابةِ

**معنى الفاءِ ودلالتها في جملة ﴿فَأَبَىٰٓ﴾:**

الفاءُ في قولهِ تعالى: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ دالَّةٌ على السَّببيَّةِ، والمعنى: "فتسبَّبَ عن ذلكَ الَّذي هو سببٌ للشِّفاءِ والشُّكرِ والهدى"[3] تصديقًا لقولهِ تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾ [الإسراء: 82]، وفي ذلكَ من التَّوبيخِ والتَّقريعِ ما فيهِ، فلا يُقابَلُ تصريفُ القرآنِ منْ كلِّ مثلٍ بالرَّفضِ والإباءِ إلّا منْ جاهلٍ محرومٍ.

إباؤهُم لما في القرآنِ من الشِّفاءِ والهدى، توبيخٌ لهم على عدم الاهتداء

**دلالةُ قوله: ﴿أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ﴾، في السّياق:**

في ذكرِ الأكثرِ دلالةٌ قائمةٌ على إنصافِ القلَّةِ القليلةِ الَّتي آمنتْ، وفتحتْ صدورَها للقرآنِ، وعملتْ بما جاءَ بهِ منْ أوامرهِ ونواهيهِ[4].

**دلالة الإظهار في موضع الإضمار:**

لمّا ذكرَ النّاسَ أوَّلًا بقولهِ: ﴿صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ﴾ كانَ من مقتضى الظّاهرِ أن يعيدهُ مكنيًّا بالضَّميرِ، إلّا أنَّه أعادَ ذكرهُ ظاهرًا بقولهِ: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ﴾، فآثرَ الإظهارَ على الإضمارِ خلافًا لمقتضى

تنويع المواعظ وتقليل المتذكّرين، فضْحٌ لجحودهم المهين

التّأكيد والتّوضيح إقامة للحجّة، والتزام بالمحجّة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 204.
(2) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 11/ 585.
(3) البقاعيّ، نظم الدرر: 11/ 510.
(4) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 8/ 426 - 427.

الظّاهرِ؛ لما فيهِ من التَّوكيدِ والتَّوضيحِ والتَّبيينِ[1]، كما أنَّ في إعادةِ ذكرِ النّاسِ إشارةً إلى كونهم ناسًا، وأنَّ الكفرانَ منْ دأبِ الإنسانِ، والجحودَ من طبيعتِه، وفي إعادةِ ذكرِه إشارةٌ إلى ذلكَ المعنى، وفيه توبيخٌ وتقريعٌ لذلكَ الإنسانِ الجاحدِ.

### دلالة الاستثناءِ في جملةِ الفاصلةِ:

ظاهرُ قولِه تعالى: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ أنَّهُ استثناءٌ موجبٌ، وفي ذلك إشكالٌ؛ إذ لا يستثنى من الموجب من دون ذكر المستثنى منه، فلا يقال: ضربت إلا زيدًا! والجواب عن ذلك: أنَّه مُتأوَّلٌ بالنَّفي، كأنَّه قيلَ: (ما قبلَ أو ما رضي أكثرهُم إلّا كفورًا)[2]؛ أي: جحودًا، فهو استثناءٌ مفرَّغٌ، وأصل الجملة قبل حذف المستثنى منه: ولم يرضوا شيئًا إلّا كفورًا[3]، وفي التَّعبير بهِ من المبالغةِ ما لا يتحقَّقُ فيما لو قال: أَبَوُا الإيمانَ؛ فإنَّهم لم يرتضوا بأيِّ خصلةٍ سوى الكفرِ، وبالغوا في عدمِ رضاهُم حتّى وصلوا إلى مرتبةِ الرَّفضِ والإباءِ[4]، ويمكن أن يكون المراد في قوله تعالى: ﴿إِلَّا كُفُورٗا﴾ تأكيدَ الأمرِ بما يشبهُ ضدَّهُ، أي: تأكيدًا في صورةِ النَّقصِ؛ إطماعًا لهم بأنَّ امتناعهُم غيرُ مطَّردٍ، فالمستثنى توكيدٌ لمعنى المستثنى منهُ، والكُفورُ أخصُّ من المفعولِ المحذوفِ[5].

أكـثر الـنّـاس مـبـالـغـون في الكفر، منكرون للهدى

### إيثارُ التَّعبير بلفظ ﴿كُفُورٗا﴾ دونَ (كفرًا) أو (كفرانًا):

استعملَ لفظةَ ﴿كُفُورٗا﴾، وهو مصدرٌ على زِنَةِ (فُعول)، ولم يستعمل الصّيغَ الأخرى مثل: (كفرًا) أو (كفرانًا)؛ لما تدلُّ عليهِ هذهِ اللَّفظةُ من اللُّزومِ، حتّى باتت وصفًا من أوصافهِم[6] المقارنَةِ لهم.

الـكـفـور يـلازم أهـلـه، حـتّـى يصيرَ وصفًا من أوصافِهم

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 194.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 692.
(3) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 11/ 585.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 194.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 205.
(6) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4451.

### سرُّ تنكير لفظ ﴿كُفُورًا﴾ في السّياق:

تنكير لفظ ﴿كُفُورًا﴾ في جملة الفاصلة دليل على شدَّة الوصف؛ فقد أتوا فعلًا عظيمًا مبالغًا فيه؛ ليثبتوا نكرانهم وجحودهم، وظلمهم لأنفسهم وأهليهم.

كفرانهم فعلٌ عظيم، يدلّ على سوء تقديرهم للعواقب

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### الإباءُ والامتِناعُ والإعْراضُ:

في قوله تعالى: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾، وردَ الفعلُ (أبى) الدّالُّ على النَّفي، وهو عدمُ رضاهُم معَ التَّكبُّرِ والشَّماخةِ[1]، فهو امتناعٌ معَ الأنفةِ والكراهةِ، وهو بذلكَ أخصُّ من فعلِ الامتناعِ ومرادفِه؛ لدلالتِه على الشِّدَّة[2]، أمّا فعلُ الإعراضِ؛ فهو في أصلِه على نيَّةِ المجازِ، يقالُ: "طوى كَشْحَه عنهُ؛ إذا أعرضَ عنهُ"[3]؛ فلا يناسبُ سياقَ الآيةِ من هذهِ الأفعالِ إلّا الفعلُ (أبى) الدّالُّ على ما في هذهِ الأفعالِ معَ زيادة في المعنى عليها.

الإبـاءُ رفـضٌ وامـتـنـاعٌ وإعـراضٌ، معَ التَّكبُّرِ والتّشامخ والكراهةِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 511.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة: 8.
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (عرض).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»